جمالية القصة القرآنية – دراسة تحليلية
قصة موسى عليه السلام أنموذجا

الأستاذ المساعد الدكتورة بان حميد فرحان
رئيس قسم علوم القرآن
كلية التربية للبنات . جامعة بغداد

توطئة

عندما خلق الله تعالى الخلق لم يتركهم يتخبطون في ظلمات الجهل ومتاهات الضلال، بل أرسل إليهم رسلا يهدونهم إلى الحق ، وأختص منهم أولي العزم وفضلهم على غيرهم ومنهم سيدنا موسى (عليه السلام)، الذي ذكر في مائة وستة وثلاثين موضعا ، توزعت على أربع وثلاثين سورة من سور القرآن الكريم (المكية والمدنية) من اولاها سورة البقرة ، واخررها سورة الأعلى، ولم يظفر اسم نبي في القرآن الكريم بمثل ذلك النصيب الأكبر الذي ظفر به موسى عليه السلام [1]. وتعد قصة موسى عليه السلام أشد القصص تكرارًا في القرآن ؛ إذ نجد أنها فيها آيات أو كلمة في الآية قد تكررت بعينها ،وفي كل مرة تعرض حلقة من حلقاتها وتصحبها معاني جديدة، فمثلا في سورة الأعراف بدأ التفصيل الأول للقصة، إذ ذكرت رسالة موسى و المعجزة التي أيدها الله بها، و ظلم فرعون لبني إسرائيل و تسليط الجراد و القمل و الضفادع والدم على فرعون...و في سورة طه يبدأ تفصيل آخر، فهو يتحدث عن القصة نفسها ، إلا أنه يبدأ من حلقة أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في الأعراف، فهو يبدأ من رؤية موسى للنار، و تكليفه بالذهاب إلى فرعون و طلب موسى من ربه أن يرسل معه هارون وهكذا جاء كل ذلك لحكمة ربانية ولغايات مقصودة ، ولعل أهم اسباب هذا التكرار التشابه الكبير بين نبي الله موسى عليه السلام وسيدنا ورسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ظروف دعوتهما ، فقد لاقى موسى عليه السلام من قومه ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سادة قريش وزعمائها، وكلاهما أوتي شريعة دينية ودنيوية وعمل على تكوين أمة عظيمة،فضلا

[1] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ، د. عبد الجواد محمد المحص ،الدار المصرية – الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١)، ٢٠٠٠م،ص٦٣؛ وقد ذكر الزركشي انها وردت في مائة وعشرين موضعا ؛ ينظر :البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ،طبعة الحلبي ، ج٣/ ص ٣٧.

عما في تكرارها من دلالة على نصرة الله تعالى لأنبيائه [١]، وسنقصر بحثنا هذا على تحليل قصة سيدنا موسى(عليه السلام) التي تعد من أطول القصص التي تظهر في سيرته على وفق ما ورد في القرآن الكريم .

يعد القرآن المصدر الأساسي للتشريع، وقد أتى بالقصة ومشاهد الدنيا والآخرة بأسلوب معجز وصور جمالية ذات تصوير أدبي دقيق، ولعل الجاحظ (ت٢٥٥هـ) أول من وضح الجمالية القرآنية في نسقه البعيد ونظمه الجميل[٢]، وتابعه في ذلك الخطابي (ت٣٨٨هـ) ولكن عبر جمالية الألفاظ وإن لم يهمل أثر المعاني في تأثيرها في المتلقي[٣]. أما الباقلاني (٤٠٣هـ) فينوه بخاصية الجمالية في أنماط القرآن جميعها من غير تفاوت ولا تباين وهي جمالية النظم العجيبة التي يعجز عن أمثالها أرباب القصاصة والأدب[٤]. وقد نبه الجرجاني (ت ٤٨٢هـ) فيما بعد إلى انبهار العرب بجمال منفرد للقرآن الذي يسري في ألفاظه وآياته وسوره ومقاطعه[٥]؛ فالجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه عبر الموضوعات القرآنية المتعددة، وبتعبير أدق؛ فإن الجمالية أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو: المفردة، والتركيب، والصورة الأدبية ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم[٦].

وقد قص الله تعالى فى القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصها علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن أسلوب القصص القراني ذا خصائص يمتاز بها من سائر الأساليب فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، كما أنه له – كما للقرآن الكريم كله – من الجدة التى لا تبلى، وتلك الروعة التى لا تزول . وإذا كانت القصة من أحب الفنون إلى الإنسان؛ فإن النقاد المحدثون لم يقفوا عند عدها لونا من ألوان الفن وضربا من ضروب البيان والأدب وإنما يذهبون إلى أنها مثل : اللغة الموجودة في الأزمنة كلها فضلا عن الأمكنة والمجتمعات ومن ثم فهي أسبق من الفنون الأخرى[٧].وإذا كانت القصة عرض لفكرة مرت بخاطر الكاتب أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته أو بث لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبر عنها بالكلام ليصل بها إلى أذهان القراء محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم

---

[١] ينظر:التكرار في القصص القرآني دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام ، د. أمين محمد عطية باشا ، ص١١، ص١٧ .

[٢] ينظر: الكامل في التاريخ، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ)، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال – لبنان، بيروت، طبعة ٢٠٠٨م، ج٢/ص٤٤.

[٣] ينظر: بيان إعجاز القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ)، دار التأليف، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٣٢م، ص٢٦-٢٩.

[٤] ينظر: إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م، ص٥٣.

[٥] ينظر: دلائل الأعجاز، عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٨٢هـ)، وتصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ص٣٢.

[٦] ينظر: الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان، دار المثابرة، جدة – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص٤٣١.

[٧] ينظر: البنية القصصية في رسالة الغفران: حسين الواد، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٥م، ص١٢.

مثل أثرها في نفسه[1]، فإن القصة الفنية، في المناهج الحديثة لا تقتصر على ما كان حقيقة وواقعا من الأحداث، بل تمتد فتنطلق كذلك على ما كان متخيلا ومبنيا على خيال القاص وما يمنحه الأدباء لأنفسهم حين يكتبون، وهنا يواجهنا أكثر من سؤال ولعل أهمها: ما مفهوم القصة في القرآن الكريم وما مفهومه في النقد الأدبي الحديث؟

الإجابة عن هذه الأسئلة نجدها قد جاءت على لسان ابن منظور في حديثه عن مادة (قصص) حيث يقول: القص: فعل القاص إذا قص القصص ويقال قصص الشيء: إذا تتبعت أثره تراه شيئا بعد شيء؛ ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ)[2] أي اتبعي أثره، والقصة: الخبر[3].

والقصة القرآنية تفرض ذاتها على من له صلة بالقرآن الكريم قراءة أو مدارسة ، وتسيطر على مساحة شاسعة فيه، وتحتل مكان الصدارة ضمن موضوعاته، وتمثل أعلى مراتب أساليبه الدعوية والتصويرية، وهي قريبة من الشرائح الاجتماعية كلها فهما وإدراكا وتمثلا.. كما تتقدم بين يدي – القارئ أو السامع أو المشاهد – المتلقي بشكل من التصوير الرائع والتمثيل المثير والتجسيد الحي والتشويق الفائق والأحداث المباشرة والشخصيات الفاعلة والمنفعلة والمتحركة باستمرار في الزمان والمكان وفي قلب الحدث وتقلباته من بدايته إلى نهايته بأفراحه وأتراحه ومآسيه ومواساته، وبما تحتويه من خصائص فنية رائعة ومكونات أدبية معجزة ولمسات جمالية بديعة وقيم ذات فاعلية وجاذبية تحمل المتلقي إلى عالمها الحكائي والقصصي والسردي ليعيش لحظات في كنفها يتتبع آثارها الحقيقية ، ويرصد حركاتها وزفراتها وسكناتها الطبيعية وغير الطبيعية، ويسترشد بشخصياتها ويعيش أجواء أبطالها النفسية والفكرية والاجتماعية.. ويرحل مع جميعها في أغوار الزمان وأبعاد المكان في كنف تصوراتها وطرائق عيشها ويتمتع بجمال القصص وفنونها، ويسبح في فنيتها ليستفيد من مضامينها، والقصة القرآنية تنقسم من حيث النزول إلى قسمين :

الأول: نزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) بطلب من معاصريه مثل قصة أصحاب الكهف ، وذي القرنين ، ويوسف.

الأخر: قصص لم ينزل بطلب ، وهو الأغلب الأعم مثل:قصص آدم ، ونوح، وموسى (عليهم السلام) وغيرها[4].

أما من ناحية الطول والقصر فتنقسم إلى :

أولا: قصص طويلة سواء أكانت متصلة الحلقات مثل قصة يوسف (عليه السلام) ، أم متقطعة مثل قصة موسى وإبراهيم (عليهما السلام).

ثانيا": قصص متوسطة الطول مثل قصة أدم ، ونوح، وداود (عليهم السلام) .

ثالثا :قصص قصيرة مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب (عليهم السلام).

---

[1] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ،ص١٨.

[2] سورة القصص، الآية١١.

[3] ينظر: لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور (ت٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ج٧، مادة ق ص ص.

[4] ينظر:أدب القصة في القرآن الكريم ،ص ٥٥-٥٧.

رابعا: قصص متناه في القصر مثل قصة يعقوب وإسماعيل عليهما السلام[١] .

وأين كان نوع تلك القصص فأنها تقوم على عناصر أو أركان عديدة. وقصة سيدنا موسى عليه السلام من القصص الطويل الذي نزل على النبي – صلى الله عليه وسلم– بدون طلب من معاصريه وسنعرض هنا لجماليات القصة وتحليل كل عنصر فيها حتى يتضح للقارئ ذلك الإعجاز الالهي الذي يتفرد به القصص القرآني وذلك عن طريق الحديث عن قصة سيدنا موسى (عليه السلام) التي عرضها القرآن الكريم في حلقات شتى منها: ولادته والظروف التي احاطت بها ، والايحاء الى أمه بارضاعه ، ثم وضعه في التابوت ، والقائه في اليم ، وكذلك تربيته في بيت فرعون سنين عددا ، وسلوكه في مرحلة الشباب ، وماكان في هذه المرحلة من قتل أحد الفراعنة وما تلا ذلك من فراره بدمه الى أرض مدين ثم لقاؤه مع الله تعالى ودعوته لفرعون وصبره وتباريه مع السحرة ونجاته، ومن ثم غرق فرعون باليم ، وبما تزخر به تلك الحلقات من فنون جمالية ذات اساليب متنوعة ومتمثلة في دعوة الناس وإرشادهم إلى طريق الخير والصلاح، وإقناعهم بالحجج العلمية القوية التي بينها القرآن الكريم، وكل ذلك قائم على جمال اللفظ والمعنى، وحسن تركيبهما في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني[٢].وعلى النحو الآتي:

أولا: عنصر الأحداث

يعد هذا العنصر من أهم العناصر في القصص القرآنية كلها، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة أم بين بين، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم، وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد، وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معا؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده[٣].

وإذا كنا نرى القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب القاص على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، والقصص القرآنية لا تعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وآثار السابقين لان تتبع الأحداث الماضية، وعرض أنباء الأولين هو الذي يحقق المقصود والأسى من هذه القصص[٤].

وإذ يشتمل عنصر الحدث على صور عديدة من الحوار والجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقدته؛ فإن القصص القرآنية لم يعمد في عرض هذه الأحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بغير ألوانها أو أن يبدل ويغير من صورها وأشكالها[٥].

---

[١] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ،ص ٦١-٦٧.

[٢]ينظر: المصدر نفسه ،ص ٧١.

[٣] ينظر: المصدر نفسه,ص١٣٤.

[٤] ينظر: الفن القصصي في القرآن الكريم، د. محمد أحمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٧٥م،ص٢٨٨.

[٥] ينظر:المصدر نفسه ،ص٢٨٨.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة سيدنا موسى عليه السلام بحوادثها وتفصيلاتها أجمع منذ مولده – بل قبل مولده – إلى وقوفه أمام الأرض المقدسة إذ كتب الله على بني اسرائيل التيه أربعين سنة جزاء وفاقا[١]،وفي مشاهد تموج بالحركة والحوار وتزخر بالانفعالات والسمات وتتخللها التوجيهات إلى مواضع العبرة من السياق[٢]،وإذ نتأمل الأحداث الواردة في القصة نجد أول مشهدها تصويره لارادة الله عز وجل وتحدي القدر لفرعون على الرغم من شدة حرصه على قتل أي طفل ذكر يولد في بني اسرائيل ، حذرا من أن يكون هلاكه على يديه ، كما أخبره بذلك الكهنة ، فعندما ولد موسى عليه السلام في بيت أبيه مع أهله، جاء أمر الله عز وجل لأمه لأن تضعه في التابوت وتقذفه في اليم، فتمتثل الأم للأمر الالهي دون أن تعلم ماكان مقدرا لوليدها ونجاته على يد من كان يبحث عنه لقتله لا بل أن يد القدر تصل بالتابوت إلى قصر فرعون وتقتحم بالوليد على فرعون قلب امرأته ، بعدما أقتحمت به عليه حصنه ، فكان للقدر وللغيب حساب ، ولفرعون وشيعته حساب إذ أرادوه لشيء ، وأراده الله لشيء آخر[٣]، وفي ذلك يقول تعالى :{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ & وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ & وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ & وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ & فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ & وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[٤].

وتتكون قصة موسى عليه السلام من مشاهد عديدة تؤكد اشتمال القرآن الكريم على القصص الجامع بين روعة السرد القصصي ودقة التصوير، وقد تضمنت قصته جزء" من حياته عندما قتل الرجل والاحداث التي رافقت هذا القتل ويتضح ذلك في قوله عز وجل : { وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ & قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ & قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ & فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ & فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ & وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}[٥]،والملاحظ ان الآيات قد تضمنت مجئ الأفعال الماضية لتدل على حادث القتل الذي قام به موسى

---

[١] ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩،ص١٣٦.

[٢] ينظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار احياء التراث العربي ،بيروت،ط ٥ ،١٩٦٧م، ج٣/ ص٥٩٥.

[٣] ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن ، د. التهامي نقرة ،طبع الشركة التونسية لفنون الرسم – تونس، ١٩٧٤م ، ص٢٥٢.

[٤] سورة القصص، الآيات ٤-٩.

[٥] سورة القصص، الآيات ١٥ -٢٠ .

عليه السلام وانقضى لاسيما الفعلين (اصبح/خرج) اذ استعملا استعمالاً يتناسب مع أحداث القصة ، فالفعل أصبح يدل على ان موسى عليه السلام دخل المدينة في صباح اليوم التالي بعد قتله القبطي دفاعاً عن الاسرائيلي الذي استغاثه في اليوم السابق فكان هناك فسحة من الوقت اعقبت عملية القتل حتى كشف أمر موسى عليه السلام ، أما الفعل خرج فياتي للاشارة الى تركه لمصر ومغادرته إياها إلى مدين وهو في حالة قلق وخوف في المدينة ، في حين تأتي الأفعال المضارعة في الواقع الذي يعيشه من الخوف والترقب من بطش فرعون وآله ، وجاءت أفعال الأمر على لسان الرجل الذي نصح موسى عليه السلام بالخروج من مصر، وفعل واحد على مستوى الأمر المجازي جاء في دعاء موسى عليه السلام طالباً المغفرة من الله تعالى .ويؤدي الفعل الدائم دوره في صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول للدلالة به على موسى وخوفه من الفعل الذي قام به [١].

ولقد رويت الأحداث القرآنية في قصة سيدنا موسى عليه السلام ، بأساليب مختلفة،مع العناية بالترتيب الزمنى الذى يقتضيه سياق الكلام، ويمكن أن يقتضى هذا السياق، أن يقطع الزمن فى القصة دون اتصال الأحداث،وفى هذا التقطيع أسرار فنية، يوجب تأمل المخاطبين[٢]. مثال ذلك ما نراه فى الآية العاشرة من سورة طه التي تمثل قطعة من قصة حياة سيدنا موسى عليه السلام ،إذ تمتزج فيها حياته البشرية العادية، وحياته النبوية[٣]،وقد بدأت السورة ، برؤيته عليه السلام للنار وهو رجل ، ولم يذكر أحداث طفولته، ووضعه فى التابوت، وإن كان كلاهما يمثل حياته العادية قبل الرسالة،إلا إن الحدث الأول يمثل حياته وهو رجل وهي مرحلة تالية لمرحلة الطفولة بمعنى ،أن القصة بدأت بحدث آخر، ثم العود إلى الحدث الأول، وهذا خرق للعادة في مراعاة التسلسل الزمنى لنقل الأحداث، ثم ترجع القصه إلى ما قطعت فيها، وتروى الأحداث بعد الرسالة ، وقد قطعت بالآيات التي يطلب فيها موسى عليه السلام، من الله تعالى أن يشرح صدره، وييسر أمره، و ...إلخ .وبعد بعثه بالرسالة، يستجيب الله سبحانه وتعالى دعاه، كما صرّح به القرآن الكريم، بقوله تعالى : {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}[٤] .

ومما تجدر الإشارة إليه حين نتحدث عن مسألة الترتيب في أحداث القصص القرآنية أننا نجد أن الأحداث قد ترتبت ترتيبا واحدا وتتوالى كألغاز لا نعرف لها حلا لا نحن ولا فواعلها،حتى إذا تعّقدت الأمور، تتبدى المفاجأة، وتنكشف الحقائق التي كان فواعل القصة والمشاهدون كلهم في عماية عنها، وقد جاء سبحانه بهذا الأسلوب ليهيئ النفس لتلقي الحكمة من وراء القصة ،بلا مقاومة شعورية،مثال ذلك ما نراه في سورة الكهف من قصة موسى عليه

---

[١] ينظر: المتشابه اللفظي في الخطاب القصصي القرآني قصة موسى ع نموذجاً ، منى فاضل اسماعيل الحلاوجي، ، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الموصل ، ٢٠٠٨م,ص٥٩. وينظر ايضا: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم – دراسة أسلوبية- د. نبهان حسون السعدون (و) د. يوسف سليمان الطحان ، مجلة كلية العلوم الأسلامية ، المجلد ٦، العدد ١٢ ،١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م ،ص ١٧.

[٢] ينظر:دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم ، برستو قياسوند (و) علي باقر طاهرى نيا، مجلة التراث العربي ، السنة الثانية ، العدد ٥ ، ص٧(١٢٣).

[٣] ينظر: ، دراسات فنية في قصص القرآن، محمود بستاني، بيروت – دار البلاغة ،ط١ ، ١٩٨٩م ،ج ١/ ص١٨.

[٤] سورة طه، الآية ٣٦ .

السلام مع العبد الصالح (الخضر) ، إذ تكون أحداث القصة عبارة عن مفاجآت متوالية يتفق شعورنا مع شعور الفاعل الرئيسي فيها(سيدنا موسى عليه السلام)، فنعيش الحالة التي عاشها عليه السلام ، إلى أن تنكشف الأمور، وينجلي الغموض، وما كان بالأمس سرًا بات اليوم حقيقة نعرفها ونرضى بها ،فقد استصحب موسى عليه السلام فتاه معه، ورحل لطلب العلم فالتقيا بالرجل الصالح، وطلب منه موسى عليه السلام أن يعّلمه مما علم رشدا وأخبره الرجل بأنه لن يستطيع معه صبرًا،إلا أن موسى عليه السلام أصر على مصاحبته [1]،ويظهر لنا هذا،في قوله تعالى : {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا & فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا & فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا & قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا & قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا & فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا & قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا & قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا & وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا & قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا & قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}[2]، فقد كان جواب العبد الصالح مفتاحًا لأسئلة حلها مجهول، وهذا ما يزيد من استغراب سيدنا موسى ، ويتأزم الأمر تدريجيا بارتكاب العبد الصالح، أفعاله المفاجئة الواحد تلو الآخر، وتتمّثل في ثلاث مفاجآت، مفاجأة السفينة يخرقها العبد الصالح، ومفاجأة قتله الغلام بدون مبرر لقتله إياه، والمفاجأة الثالثة بناؤه للجدار، في مكان لم يحسن أهله ضيافتهما ويظهر لنا هذا على التوالي في قوله تعالى:(فانطلقا....) ونهايته (هذا فراق...)كل هذه المفاجآت تمر، وموسى عليه السلام ينكر على العبد الصالح أفعاله ، وفي الوقت نفسه لم يظهر سر المفاجأة لموسى ، ويزداد توتره لغرابة ما يعيشه من تصرفات لا تفسير لها، وبعد أن يبلغ التوتر ذروته، ينجلي السر، وتنكشف حقائق الأفعال أمام سيدنا موسى عليه السلام اما وبعد أن ينكشف السر، تغمرنا الدهشة، وإثرها يختفي الرجل كما بدا، فمهما راودتنا الأسئلة لمعرفة هذا الشخص، وإدراك هويته، نجد أنفسنا عاجزين عن الإجابة، فلقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول[3] ، ذلك لأن القصة كلها (تمّثل الحكمة الكبرى ،وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها،إلا بمقدار، ثم تبقى مجهولة أبدا) [4].وقد جاء أسلوب المفاجأة في هذه القصة، على هذا النحو، لتحقيق الغرض الديني الذي ترمي إليه والمتمّثل في الإيمان بقدر الله، وحكمته في تصريف الأمور ، ووجوب القناعة والرضى بقدره .وهذا أفق من آفاق التناسق الفني في القصة.ولعل من الواجب التنبه إلى إن خوارق الأحداث رافقت سيدنا

---

[1] ينظر: الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجا، آمنة عشاب، (رسالة ماجستير)،كلية الادآب واللغات – جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف ، الجمهورية الديمقراطية الجزائرية ، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص ٤١-٤٢.

[2] سورة الكهف، الآيات ٦٠-٧٠.

[3] ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم ،ص١٨٥.

[4] المصدر نفسه ،ص١٨٥.

موسى من قبل بدء قصته مع العبد الصالح (الخضر)حينما ارتدت الحياة إلى الحوت القابع في المكتل ،فاتخذ سبيله في البحر سربا وعجبا[١].

وقصة موسى عليه السلام تزخر بخوارق الأحداث والمعجزات التي تثير في النفس انفعالات قوية تملك على متلقيها أحاسيسه ووجدانه، من ذلك ما جاء في قوله تعالى { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٢]،كما قال في سورة الاعراف{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[٣]وهنا نشاهد كليم الله يطلب من ربه السقيا لقومه ، إذ لم يكن هناك ماء فقد جفت العيون وخلت الآبار ، فجاء الأمر من الله بأن يضرب بعصاه الحجر ،وكأن الخالق يريد أن يخرج الماء(بما فيه من حياة) من أصعب الجدب ، ليثبت إمكانات القدرة الإلهية المطلقة وعظمة (كن) ،فالعصا –كما نعلم – أقل صلابة من الحجر الصلد ، ولعلها هنا تمثل رمزا للإشارة إلى الماء فينفجر، وليلفتهم إلى قدرته عز وجل على أن يأتي لهم بالماء المخصب من الحجر الصلد، ولانه قد قطع بني إسرائيل اثنتي عشرة أسباطا أمما ، فإن الماء قد انفجر اثنتي عشرة عينا من الحجر ليكون لكل قوم عين يرتون منها ، وقد صور القرآن الكريم معجزة خروج الماء من الحجر عيونا بالفعلين (انفجرت) و(انبجست) دون غيرهما على الرغم مما في الأخير من نوع ثقل ، لان أي فعل آخر قريب من معناهما لا يمكنه أن يؤدي مؤداهما ، فلا يكفي أن يقال : فسالت منه اثنتا عشرة عينا، أو فجرت منه ، أو فتدفقت منه ،أو ماشئت من أفعال أخرى لان شدة إندفاع الماء من الحجر يعجز كل من هذه الأفعال عن تصوير مداه ولا يعبر عنه بأدق التعبير إلا ما جاء في قوله (انفجرت) ، على أن في الفعل (انبجست) إيحاء قوي لمشهد اندفاع الماء من قلب الحجر ، وبمعنى أدق: فإن الماء لم يكن مجرد قطرات قليلة بل ماء مندفع بقوة وتدفق[٤].

والمثير أن العصا التي كان يتوكأ عليها سيدنا موسى عليه السلام من قبل والتي ضرب بها الحجر فانفجرت منه عيون الماء ، هي نفسها التي أنقلبت حية تسعى ، واهتزت كأنها جان ، وهي التي لقفت ما صنعه السحرة ، وهي العصا نفسها التي ضرب بها البحر ليشق لبني إسرائيل طريقا في البحر يبسا يوم خرج بهم هربا من فرعون وملئه، فانفرق البحر ، فكان كل فرق كالجبل العظيم ، ومضى موسى عليه السلام إلى الشاطئ الآخر وأغرق الله فرعون وجنده [٥]؛ وقد أخذت تلك المفاجأة العجيبة و القوة الغيبية الخارقة عقل فرعون وذهبت بجبروته وكبريائه ، فيذل

---

[١] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ،ص ٣١٣.

[٢]سورة البقرة، الآية ٦٠.

[٣]سورة الاعراف ،الآية ١٦٠.

[٤]ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص٣٠١.

[٥]ينظر: من اساليب التشويق في قصص القرن الكريم دراسة تحليلية، د. علي بن محمد الحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (د.ت) ، ص٣٣-٣٤.

ويخضع وينطق معترفا بقدرة الله وعظمته إذ يقول{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[1]. ولعل في معجزة أنقلاب العصا حكمة سامية تدل على أن الله عز وجل ((كما يملك التغيير والتبديل في الجمادات من مثل العصا ، كذلك يملك ذلك في الإنسان فيحوله حسبما يشاء)) [2].

هذا وقد أوتي موسى عليه السلام آيات وخوارق أخرى منها: رفع الطور فوق بني إسرائيل وتظلليهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى[3]،وغير ذلك كثير مما يدل على أن هذا العنصر (واقصد به الخوارق والمعجزات) من العناصر الخاصة و الفعالة في القصة القرآنية عموما وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام تحديدا" ، وإن ما نجده من خوارق في بعض القصص كالإلياذةوالأوديسا ماهي إلا خيال وضرب من الأساطير التي ليس لها مكانا في واقعنا المحسوس.

ثانيا: عنصر الشخصيات

عنصر الأحداث وعنصر الشخصيات هما العنصران الأساسيان في كل قصة، إذ لا يمكن أن نتصور شخصا من غير أحداث تلم به أو تقع عليه ؛ لذلك فالعمل القصصي يقوم على محورين: الحدث والشخصية ، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد أخرى[4].

ويلاحظ في القصص التاريخية،غلبة الشخصية على الحدث، فيكون الشخص محور الحركة في القصة، أما القصص القرآني المعجز، فنرى فيه المزج التام بين الشخصية والحدث ثم إدارة المشاهد القصصية في هذا الفلك بحيث تكون المشاهد موزعة توزيعا محكما متوازنا" بين الشخصية والحدث حرصا من القرآن الكريم على الوحدة القصصية في كل صورها وأوضاعها[5]. والمتأمل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن يجدهم يشتركون في الصفات والملامح، فهم جميعا بشر لا ملائكة وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الإنموذج للكمال البشري[6]. والشخصيات يشكلون الحركة الحيّة في القصة؛ وكما هو واضح فالإحداث والبيئات لا قيمة لها إلاّ بقدر وجود (الحركة الإنسانية) عليها. وحيال هذا فان انتقاء الشخصية وطريقة رسمها وإلقاء الأدوار عليها، يظل في الصميم من حركة القصة وحيويّتها.

وقد أبدع التعبير القرآني في عرضه شخصية سيدنا موسى(عليه السلام) وإخراجها لنا حتى بدت مكتملة البناء و الملامح ؛ اذ تظهر أحداث القصة شخصية موسى عليه السلام في شبابه عندما وكز الرجل الذي من عدوه

---

[1] سورة يونس ، الآية ٩٠.

[2] التفسير البياني لسورة طه ، د. عبد الفتاح السيد محمد الدماصي ، مطبعة السعادة ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م ،ص٢٥.

[3] ينظر :سورة البقرة ، الآية ٥٧.

[4] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص ١٤٩.

[5] ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم بالخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٨م، ص٤٢-٤٣.

[6] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص ١٥٤.

فقضى عليه ويظهر ذلك في قوله تعالى{ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ & قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[1]،إذ يبين لنا القرآن الكريم شخصيته و سرعة انفعاله، فهو يظهر سريع الاندفاع في نصرة الإسرائيلي و عنيف مع المصري، و سريع التوبة، و الرجوع إلى الله و معاتبة النفس، مما يبرز طيبة قلبه و صفاء سريرية [2].ثم يأتي اليوم الموالي، و يخرج موسى عليه السلام– إلى المدينة – يتوجس خيفة من افتضاح أمره، و يجد نفسه ثانية في موقف مماثل لما مر به، و يصور القرآن الكريم، هذه الحادثة بقوله تعالى {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ & فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ}[3] ، و تبقى الطبيعة الانفعالية تسيطر على سلوك النبي عليه السلام و يرسم القصص القرآني لشخصيته سمات تجعله انموذجا للزعيم القوي المندفع يسرعة انفعاله مع حساسية وجدانه، و لعل هذه السمات هي التي جعلت حظوظ نجاحه أقوى في قيادة شعب صلب المراس، معقد النفسية، و هو شعب بني إسرائيل[4] .

كما يصور القرآن ما كان من أمر بني إسرائيل بعد أن غاب عنهم نبيهم موسى عليه السلام في مناجاة ربه إذ يقول تعالى {واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ & وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ & وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[5]،فقد أبرز القصص القرآني القرآني سمات شخصية هذا النبي الكريم من طريقة تعامله مع هذه الحالة التي وجد فيها قومه (ولمارجع موسى ....) ، فيبدو الانفعال يسيطر على سلوك موسى عليه السلام إذ يغضب في الله فيرمي الألواح، و يشد برأس أخيه يجره إليه، كل ذلك في سرعة و خفة، ثم في سرعة أيضا يتراجع و يستغفر الله له و لأخيه و يرجو رحمته، و هو تراجع يذكرنا بما حصل في حادثة الإسرائيلي و القبطي، مما يدل على أن اندفاعه يقترن دائما بتراجع[6].وهكذا يكشف القصص القرآني أبعادا مهمة في الشخصية سواء أكانت شخصية الأنبياء أو شخصيات أخرى من البشر، يرسمها بكل دقة و أمانة، و في أرجائه الفسيحة نماذج كثيرة أبدع التصوير القرآني في إخراجها.

---

[1] سورة القصص، الآيتان ١٥-١٦ .

[2] ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ،ص ٣٦٨- ٣٦٩ .

[3] سورة القصص ، الآيتان ١٨-١٩ .

[4] ينظر:سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص٣٦٦ .

[5] سورة الأعراف ، الآيات ١٤٨-١٥١ .

[6] ينظر:سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص٣٧٦ .

وإذ يشكل الأبطال الحركة الحيّة في القصة،فإن الإيقاع القصصي يعرض بالشخصية المفردة مع تطوارت حياتها ونشأتها مع الأحداث والتنقلات في الأمكنة عبر سنوات العمر، فعندما ولد موسى عليه السلام في بيت أبيه مع أهله ثم تحول في التابوت وقذفته أمه في اليم ليصل قصر فرعون،وينشأ فيه الى أن يصبح شاباً ويقتل الرجل الذي من عدوه ثم يخرج الى مدين وهناك يتزوج ويعمل بالرعي استعداداً للقاء الله تعالى عند جبل الطور انتهاءً بنجاته وغرق فرعون وآله في اليم وذلك على النحو الآتي :

موسى مع أهله ــ التابوت ــ اليم ــ قصر فرعون ـ مع أمه .قصر فرعون ــ المدينة ـ مدين ــ جانب الطور ــ شاطئ الوادي الايمن ــ في البقعة المباركة ــ قصر فرعون ــ قرب اليم.

اما شخصية بني إسرائيل فيمكن رصدها على وفق النص القصصي القرآني في أقوالهم التي تظهر سوء الأدب مع نبيهم إذ إنهم لم ينادوه قائلين :(يا رسول الله)أو (يا كليم الله) وما إلى ذلك من الصفات التي تشعر بالأدب في مخاطبة رسولهم الذي نجاهم الله على يديه من فرعون وعمله، وإنما تكررت مناداتهم لسيدنا موسى عليه السلام باسمه مثل قولهم {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً }[1]، فضلا عن أفعالهم التي تدل على خلقهم، وطلبهم رؤية الله تعالى واتخاذهم العجل، وعذاب الله تعالى لهم بالصاعقة [2].

ولقد اظهر الإيقاع القصصي العام أبعاد الشخصيات في قصة موسى عليه السلام مع العبدالصالح(الخضر) فضلاً عن شخصيتي الفتى والغلام .وما جاء على لسان العبد الصالح في تأويله للأفعال التي قام بها وأنكرها عليه سيدنا موسى عليه السلام ،إذ تظهر شخصيات متعددة ثانوية متمثلة بـ : الملك الذي يغتصب السفن ،أب الغلام المقتول وأمه ،الغلامان اليتيمان والأب الصالح ، وأبرز الإيقاع القصصي الأمكنة المتمثلة بمجمع البحرين والسفينة والطريق الى القرية،على حين يختفى الرجل الصالح من السياق كما بدا [3]. وما نراه أن هذه الشخصية المجهولة، كان ضروريًا أن لايذكر اسمها، لأنها لم تكن تحمل معنى الشخصية الإنسانية التي تقوم بأحداث لها تفسيرها في الحياة، وإنما كانت تحمل بعدًا دلاليًا آخر، يعجز العقل البشري عن إدراكه، أو اكتشافه، وهو هذه الحياة الكونية التي نعيشها، وما يحدث فيها من أفعال نعجز أحيانًا عن فهمها وتفسيرها، وما تخبئه لنا من أمور نجهلها تفوق توقع العقل البشري.فلو ذكر اسم الرجل لزال الغموض، وأصبح بشرًا عاديًا، وقد جعله مجهول الهوية، مما يوحي بالعظمة و الهيبة، و القوة اللامحدودة[4] . فجو القصة غامض، من لحظة رغبة موسى عليه السلام في لقاء هذا الرجل المجهول إلى الأحداث التي جرت بعد لقائه به،وعلى الرغم من أن العبد الصالح هو أحد الفاعلين الرئيسين في القصة إلا أن شخصيته الغامضة غير المحددة، كانت مثار التشوق و الانشداد فيها،فقد قام بالفعل، وجعل الأحداث تتشابك بعقدة كان مفتاح حّلها بيده أيضًا.وبعد هذه المفاجآت التي تصعد من قمة التوتر النفسي والتي يعجز العقل عن

---

[1] سورة البقرة، جزء من الآية ٥٥.

[2] ينظر: الشكل القصصي في القرآن الكريم،نبهان حسون السعدون، دارسة جمالية رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل،١٩٩٩م ، ص٦٧١.

[3] ينظر:مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم،ص٢٥؛ الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني ، ص٤٣.

[4] ينظر: الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني ،ص٤٣.

استيعابها وتفسيرها، يأتي الوقت المناسب لتنكشف الأسرار، وتتضح الأمور، فيكون لكل فعل سبب معروف نعلمه حين يعلمه موسى عليه السلام.

ونرى القرآن الكريم حين يعرض لنا شخصية فرعون ، لا يذكر لنا وصفا واحدا لجسم فرعون وخصائصه البدنية بل عمد الى ذكر صفاته الشخصية التي تمثل طغيانه وأدعاء الألوهية ، والكبر ، والغرور والمكابرة في الحق والأستهزاء بسيدنا موسى واخيه هارون عليهما السلام[١]. وإلى جانب شخصية فرعون تظهر شخصيتا هامان وقارون إذ يقول تعالى{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ & إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}[٢] وهما يشتركان مع فرعون في صفة الاستكبار في الأرض وادعاء أن موسى ساحر كذاب .

بقى من حديثنا عن عنصر الشخصيات من الأناسي أن نتحدث عن شخصيات النساء فقد تضمنت قصة سيدنا موسى عليه السلام ذكر أم موسى وأخته ، وزوجة فرعون ، وابنتي سيدنا شعيب عليه السلام والمتأمل للأسلوب القصصي القرآني في تناول الشخصيات النسائية يجد أن هذه الشخصيات لم يقصد بها الاستثارة أو الترفيه كما هو الحال في القصص الإنساني العاطفي ، وإنما لأن الحدث استدعى وجودها بصورة تلقائية ،فأم موسى أنموذج للمرأة الأم بكل ما تحمله عاطفة الأمومة من معنى، فنراها محبة لوليدها ، خائفة عليه من بطش الطغاة ، وأخت موسى أنموذج للفتاة الواعية الحذرة التي تنفذ أوامر أمها، وامرأة فرعون أنموذج للمرأة المؤمنة من المواقف العاقلة الرشيدة التي لم يضللها كفر زوجها وطغيانه، فضلا عن حرصها على الأمومة بكل ما يصحبها من حب وعطف[٣].

وقد أمتاز القرآن الكريم بالدقة في انتقاء الكلمات التي تحمل دلالات عميقة، ويكفينا هنا الاستدلال على ذلك في كلمة(تذودان) الواردة في قوله تعالى { وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير}[٤], فهذه الكلمة بينت أن الفتاتين كانتا تحبسان أغنامهما و تمنعانهما من الاختلاط بأغنام الآخرين، حتى لايدعي أحدهم أنها له. ولضعف المرأة الطبيعي، فهما كانتا تنظران حتى يخف الزحام فتسقيان أغنامهما في حين أن أغنامهما كانت تريد الذهاب إلى مورد الماء مع سائر الماشية، فكانتا تمنعانها، وهذه الكلمة أثارت مخيلتنا في تصور الموقف و ما فيه من حركة والدوافع النفسية التي تدفعهما للتصرف بهذه الطريقة كما أمدتنا بصورة عامة عن أخلاق هؤلاء القوم من حب الذات و الحرص على المصالح الخاصة، دون الالتفات لحاجات الآخرين للماء،إذ كان يجدر بهم من باب الشهامة و الرجولة أن يقضوا حاجة هاتين الفتاتين خاصة و أن والدهم شيخ كبير[٥]، و قد لفت هذا المشهد انتباه موسى– عليه السلام–، و أثار تعجبه، ولما عرف القصة سقى لهما،و هذا يدل على حسن خلقه.

---

[١]ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص١٧٢-١٧٣.

[٢]سورة غافر، الآيتان ٢٣-٢٤.

[٣]ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص١٩٠- ١٩١.وينظر :مستويات السرد الاعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري، من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠١م ، ص٣٣.

[٤] سورة القصص ، الآية ٢٣.

[٥]ينظر: الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني ،ص٣١.

ومن الواجب قبل أن ننهي حديثنا عن الشخصيات في القصص القرآني وتحديدا في قصة موسى عليه السلام ألا نهمل ذكر الشخصية الحيوانية والمتمثلة بغنمه ، والحوت الذي حمله معه في رحلته إلى العبد الصالح كما نجد الحية المعجزة التي تسعى ، وعجل السامري ، والبقرة التي أمر سيدنا موسى عليه السلام قومه –تبليغا عن ربه– بذبحها والتي بلغ من شأنها أن سميت بها أطول سورة في القرآن الكريم ،فضلا عن الجراد والضفادع والقمل ، ولقد كان وجود هذا العنصر (واقصد به الحيوانات) أمرا ضروريا استدعاه الحدث القصصي الذي كان للحيوان مكان فيه[1] .

ثالثا: عنصر الحوار

الحوار ـ كما نعرف جميعاً ـ هو: حديث البطل مع غيره، وحديثه مع نفسه. ومن البيّن أن هذا العنصر يجسّم حيوية القصة بأعلى درجاتها ما دام (الكلام) مع الغير أو مع النفس هو المفصح عن دوافع الشخصية ورغباتها، عن صراعها وهدوئها، بل أن (الكلام) قد يحسم مصير الفرد أو الجمهور أو الأمّة. وبالرغم من إن (السرد) الذي يعني (قص) الأحداث والمواقف ونقلها إلى الآخرين، بمقدوره أن يكشف عن أعماق الشخصية، إلاّ أنه لا تتوافر فيه إمكانات الحوار، لجملة من الأسباب، منها: إنّ ترك الشخص يتحدث بنفسه يظل أشدّ حيوية من نقل كلامه. كما أن ما لديه من (أفكار) لا يستطيع الملاحظ تعرّفها ما لم يعلن الشخص ذلك بنفسه، فضلاً عن إن بعض (الأسرار) لا يمكن التحدث عنها حتى بلسان البطل، بل يظل متحدثاً بها مع نفسه وهذا ما يتطلبه أحد شكلي الحوار ونعني (الحوار الداخلي). كما أن هناك (حالات) خاصة يستدعيها (التداعي الذهني) الذي ينتقل من خلالها الذهن من موضوعٍ لآخر تربطه به علاقات (التشابه) أو علاقات لا شعورية يتداعى الذهن إليها من دون أن ينتبه الشخص إلى مغزى ذلك. ولذلك نجد أن القصة الحديثة تلجأ في كثير من نماذجها إلى ترك البطل (يداعي) بذهنه إلى موضوعات لا علاقة ظاهرية بينها، فيما يستثمر القاص هذه الخصيصة لطرح مختلف (الأفكار) التي يستهدفها. المهم، أن (القصة القرآنية) تعتمد عنصر (الحوار) بأشكاله المتنوعة التي يستدعيها هذا الموقف أو ذاك مع ملاحظة أن الفارق بين القصة الأرضية وقصص القرآن يتحدد بوضوح من حيث معرفة (المبدع– الله عز شأنه–) بما في الصدور وامتناع ذلك عند القاص البشري، الأمر الذي يجعل لعنصر (السرد) في كشفه عن الأعماق نفس (الفاعلية) الموجودة في (الحوار)[2]. بيد أن القصة القرآنية ـ على الرغم من ذلك ـ تدع البطل يتحدث مع غيره، أو مع نفسه بغية توفير عنصر (الإقناع) من جانب، وتحقيق المتعة الفنية التي يتطلبها شكل القصة من جانب آخر. ومن الواجب هنا أن نوضح بأن (الحوار) القرآني يتخذ ـ كما قلنا ـ أشكالاً متنوعة، بعضها متوافر في القصة الأرضية وبعضها الآخر غير متوافر فيها. فهناك الحوار الخارجي متمثلاً في محادثة الشخص مع آخر أو مع مجموعة، وهناك الحوار الجمعي المبهم، وهنالك الحوار المحدد، فضلاً عن (حوار) خاص مع (الله)، وحوار مع (النفس)، ومجرد (تفكير) يأخذ سمة الحوار، وفضلاً عن (الحوار) مع الأجناس غير البشرية ... ،المهم أن (الموقف) هو الذي يحدد نمط (الحوار) الذي تستخدمه القصة القرآنية.

---

[1] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص٢٢٠– ٢٢٣.

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٣٢.

وإذا نظرنا إلى ذلك القصص المشتمل على الحوار فإننا نجده في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) متمثلا في حواره مع الله جل وعلا حيث يقول تعالى { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى & قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى & قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى & فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى & قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى & وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى & لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى}[1]، ويقول {إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ}[2]، فضلا عن قوله تعالى{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى & فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى&قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى}[3] وهنا نجد أن القرآن الكريم قد التزم بقص أقوال الشخصيات مصدرة بقوله تعالى سبحانه: قال، أو قالت، أو قالا، وفي هذا دلالة واضحة على أمرين:

أولهما: إن الحوار القرآني لا يقوم بين شخصين فحسب، وإنما يقوم أيضا بين كثرة، فهناك حوار بين أثنين، وحوار بين واحد من طرف وأثنين من طرف آخر، وحوار بين واحد من طرف وجماعة من طرف آخر ثم هناك حوار بين جماعة وأخرى ... وهكذا.

آخرهما: إن طريقة القرآن الكريم في تصوير الحوار إنما يقوم على أساس الرواية التي بلغ القرآن الكريم المثل الأعلى في إدارتها على وجه الذي يقيم منه معجزة قاهرة تخضع لها الأعناق[4].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الحوار القرآني يمتاز بتعدد ألوانه، فهناك حوار بين الإنسان والإنسان وحوار بين الله تعالى والإنسان، وحوار بين الله تعالى والملائكة، وحوار بين الإنسان والحيوان، وحوار بين الإنس والجن،من ذلك حوار موسى عليه السلام مع الله عز وجل وسؤال الله له عن العصا إذ يقول تعالى {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى & قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}[5] فقد اجابه عن وظائف العصا وخصوصيتها مفصلا القول في الجواب مما يدل على الاستشعار بعظمة الله تعالى ورغبته بقضاء أكثر وقت ممكن في حضرته[6].

لقد بدأ القرآن الكريم سرد قصة موسى عليه السلام بتفاصيلها من بدايتها إلى نهايتها في سورة القصص، إذ تبدأ القصة، بذكر العاقبة و المآل الذي سينتهي إليه فرعون و قومه لأنه علا في الأرض وأكثر فيها الفساد، فقتل أبناء المستضعفين واستحيى نسائهم، فأراهم الله قدرته بأن أكرم المستضعفين ،وجعلهم الوارثين[7]،ويتضح ذلك في قوله تعالى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ

---

[1] سورة طه، الآيات ١٧ –٢٣ .

[2] سورة طه، جزء من الآيه ٤٠ .

[3] سورة طه، الآيات ٤٣–٤٥ .

[4] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ص٢٢٤.

[5] سورة طه ،الآيتان ١٧–١٨.

[6] ينظر: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام– في القرآن الكريم،ص٢٠.

[7] ينظر: مع الانبياء في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة ،دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط١٣، ١٤٠٤هـ، ص٢١٩.

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ & وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ & وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ}[1]، ثم تسير القصة مفصلة في اتجاه قصدي يتمّثل في الكشف عن الغاية التي ذكرت في أول القصة، فكانت تمهيدًا مشوقًا يحّفز لمعرفة السبيل إلى تحقيق هذه الغاية المعلومة.وقد عرض لنا الحالة النفسية لأم سيدنا موسى عليه السلام بعد أن أوحى الله لها أن تلقيه في اليم، بعد إرضاعه، يقول عز و جل{: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي...} [2] ومما لا شك أن عاطفة الأمومة المتأججة في صدر أم موسى عليه السلام تجلت بصورة واضحة نستشفها من إيحاءات النسق الكريم ودقة تعابيره إذ يصور القرآن حالة الفراغ العاطفي والوجداني الذي تعرضت له الأم بعد فقد ابنها،وقدعبر الله تعالى عما كانت تشعر به بصيغة الماضي (أصبح) مع الفعل الدائم بصيغة اسم الفاعل (فارغا) للدلالة على ما أصاب الفؤاد من الحزن والهم ولم تتسعَ الجملة الفعلية هنا إلى التحويل لأنها تتحدث صراحة عما عانته هذه الأم إذ أصبح فؤادها لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر او تصريف حتى كادت تظهر حقيقة أمرها، لولا أن الله ثبتها . [3]كما تكشف الاية {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[4] مدى الحرقة الحرقة و القلق اللذين تتعرض لهما الأم، مما يجعلنا نشفق لحالها و تنقبض قلوبنا تعاطفا معها، و يزيد شغفنا لتتبع أطوار القصة لنعلم ما آلت إليه حالتها في فقد والدها، إلى أن يطالعنا السياق الكريم بلطف الله و رحمته بها إذ رد اليها وليدها[5].

و الحقيقة إن القرآن الكريم، لايروى، ولايوصف القصص،بل كان قدصورها، وليس مخاطبها بقارئ، أوسامع، بل هو ناظر، والتصوير أشد تأثيرا في المخاطبين،بالنسبة إلى الوصف والرواية[6].وكما نرى فى سورة يونس التي صورت غرق فرعون لطغيانه،وظلمه، وعدم قبول إيمانه مضطرا {وَجَاوَزْنَابِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ }[7].

وتعدد مصادر الحوار في القصص القرآني ميزة من المزايا الجليلة التي نراها فيه، كما نرى أيضا أن القرآن الكريم يعتمد اعتمادا أساسيا وفي مواضع كثيرة جدا على أن يتصدى لأعدائه بالحوار والمحاججة المباشرة على السنة الأنبياء

---

[1] سورة القصص ،الآيات ٤-٦.

[2] سورة القصص ، جزء من الآية ٧.

[3]ينظر: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم،ص٢٠.

[4] سورة القصص ، الآية ٩.

[5] ينظر:الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف - عليه السلام – نموذجا دراسة جمالية ،بلحسيني نصرة،كلية الآداب والعلوم الإنسانيةوالإجتماعية/جامعةأبي بكر بلقايد –تلمسان،الجمهورية الجزائرية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م،ص٩٩-١٠٠؛ وينظر: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم،ص٢٠.

[6] ينظر: دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم ،ص٧ (١٢٣).

[7] سورة يونس ، الآية ٩٠.

حينا والمؤمنين حينا آخر[1]،من ذلك حوار سيدنا موسى عليه السلام مع قومه عندما امرهم بذبح البقرة إذ يقول تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ & قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ & قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ& قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ & قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}[2]،فلفظ البقر محور التركيب الذي بني عليه يتحول معناه من المعنى المحسوس الظاهر للدلالة على معانٍ تتصف بالشمولية والعموم في الاستعمال المجازي ،إذ تمثل البقرة التي أمر الله تعالى بذبحها بقرة عادية ولكن تعنت القوم وكثرة السؤال جعل منها بقرة ذات صفات مميزة لا توجد الا في بقرة واحدة لكي لا تتشابه عليهم ،فالبقرة ليست مذللة للعمل في الحراثة أو السقي كما انها سالمة من أي عيب خلقي ولونها أصفر فاتح لا يخالطه لون آخر، فالتشابه عند القوم هو لترددهم ولحاجتهم وتشددهم فشدد الله تعالى عليهم[3].وعلى ذلك فحوارهم يعبر عن طبيعتهم وصفتهم الموروثة بالتمرد والمكابرة واللجاجة والمراوغة وعلى وعلى ذلك فقد ذبحوها مرغمين بعد طول مراوغة ، كما يدل هذا الحوار على قدرة الله عز وجل وحقيقة البعث وطبيعة الموت والحياة .وهذا يعني أن الحوار الترميزي هنا اعطى الموقف الذي تبناه بنو إسرائيل إيحاء شموليا عن طريق تأويل الحدث والموقف الذي عرض من الحوار[4]. ولقد حظيت البقرة التي تتحدث عنها القصة بمكانة ملحوظة إذ سميت السورة باسمها.

ويصور القرآن الكريم جلسة فرعون إذ يقول تعالى{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ & وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ & وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ &يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ‘بِغَيْرِ حِسَابٍ}[5] إذ يظهر فيها وهو يقف حائرا بعدما ظهرت نبوة موسى عليه السلام السلام كما نشاهد فيها مؤمنا من آل فرعون يجادل ويحاور في هدوء وبأسلوب التردد والإستعطاف وبراهين الإقناع والإفحام ما يشف عن عاطفة هادئة يستقر ينبوعها الرأئق في صدر صاحبها، ويأتينا حوار الرجل المؤمن من آل

---

[1] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ، ص٢٣٢.

[2] سورة البقرة ، الآيات ٦٧-٧١.

[3] ينظر: الشكل القصصي في القرآن الكريم دراسة جمالية ؛ نبهان حسون السعدون ،رسالة ماجستير كلية الآداب –جامعة الموصل ، ، ١٩٩٩م، ص٣١٧.

[4] ينظر: الحوار في القصة القرآنية قصة موسى أنموذجا ، د. نبهان حسون السعدون (و) د. يوسف سليمان الطحان، مجلة كلية التربية التربية الأساسية ت جامعة الموصل ، المجلد٧ ، العدد ٤، ص ١٢٢.

[5] سورة غافر ، الآيات ٢٦-٢٩. وينظر مابعدها من آيات من الآية ٣٠إلى الآية ٤٥.

فرعون هادئا" وفي آيات تمثل أعلى مراتب الفن الأدبي. على حين جاء حوار فرعون في سورة الشعراء كالسهام المتراشقة في ميدان القتال[1]، إذ يقول تعالى:{ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ & قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ & قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ & قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ &قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ & قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ& قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ & قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ &قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ & فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ & وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ & قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ}[2].

وقد حرص الله عز وجل على إبراز أهمية المحاورة والمحاججة وعدم قصرها على مهاجمة الأعداء والتصدي للمنافقين وإنما جعلها في كثير من المواقع نماذج للتربية والتعليم والتوجيه؛مثل حوار موسى وأخيه هارون عليهما السلام ، وبين سيدنا موسى والعبد الصالح (استاذه الخضر) [3]،وقد جاء بالفعل المضارع المسبوق بالسين (ستجدني) اذ يعطي هذا الفعل فسحة للانتظار في خضم الأحداث المتصارعة مع العبد الصالح الذي يملك العلم الله في مقابل موسى الذي يملك علماً بشريا ،على أن الملاحظ في حواره مع الخضر عليهما السلام تكرارات متعددة لمعنى واحد هو (أنك لن تستطيع معي صبراً) على لسان العبد الصالح في وضع الصبر شرطاً للصحبة والتذكير به بعد كل فعل يقوم به ، وقد شكل تكرار هذه الجملة إيقاعاً صوتياً محبباً عند القراءة (إِنكَّ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صبَر) و(ما لم تستطع عليه صبر) و (ما لم تسطع) وكذلك تكررت ألفاظ العلم (علمناه/علما/تعلمني/عُلمت)فضلاً عن تكرار ألفاظ الصبر (صبرا/تصبر/صابرا). ويوحي تكرار ألفاظ العلم والصبر على أن طلب العلم يحتاج الى صبر، وهذا المغزى الذي أعطته القصة التي تتحدث عن طلب العلم وصحبة المعلم[4].

ويظهر الحوار سيدنا موسى عليه السلام مع السحرة إذ يقول تعالى{ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى & قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى & فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}[5]، الصراع النفسي لسيدنا موسى في قوله (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) فلقد شعر بالخوف على الرغم من علمه أنه مؤيد من ربه ، مما يدل على أن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تتخلص من ضعفها أبدا ، ولقد تقدم الفعل (فأوجس) ثم جاء اسم موسى وذلك لاهمية إظهار الصراع النفسي وللمحافظة على الإيقاع والتأثير في النفس[6].

---

[1] ينظر: البيان القرآني د. محمد رجب بيومي ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، ط دار النصر للطباعة ، ١٣٩١هـ-١٩٧٠م ، ص ٥٠. وينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه،ص ١٣٥.

[2] سورة الشعراء، الآيات ٢٣-٣٤.

[3] ينظر: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ، د. عبد الحليم حفني ، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ص٢٥.وينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ، ص٢٣٢.وينظر: سورة الكهف ، الآيات ٦١-٨٢.

[4] ينظر: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم ، ص٢٩.

[5] سورة طه، الآيات ٦٥-٦٧.

[6] ينظر: مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم ، ص٢٩.

ويمكن أن ندرج هنا المناجاة والابتهال إلى الله في الحوار، وفي قصة سيدنا موسى (عليه السلام) نسمع مناجاته لربه { قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}[١]، وقوله{ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}[٢]، وقوله{ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[٣] ، كما نسمعه يقول لقومه { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ & فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ & وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٤]، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد – أن سيدنا موسى عليه السلام قد سأل سأل ربه في هذه المناجاة النظر إليه من باب الشوق والأشتياق إلى رؤيته حين أسمعه كلامه، ولكي ينال منزلة المشاهدة التي هي منازل الإدراك توجه بمناجاته إلى ربه يسأله (الرؤية الكبرى) ، وهو مدفوع بالشوق والرجاء ولهفة الحب[٥]، وهو لا يطلب في مناجاته عرضا من الدنيا، بل لقاء الله تعالى خالق الكون ومدبر أمره ، وهنا نستشعر لذة لذة الخضوع والانكسار بين يدي الله عز وجل وحلاوة مناجاته فيما يتوجه به النبي عليه السلام إلى خالقه ، ويتوسل إليه أن يستجيب لدعائه [٦].

رابعا: عنصر الزمن

للقرآن منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فنراه مثلا، إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة، ولا في أي سنة انتهت، ونراه كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ، بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو ألفين قبل الميلاد، أو بعده أو قبل العثة، أو نحو ذلك، وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة القرآنية لا يضيف شيئا إلى عبرة القصة ومغزاها[٧].

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل، فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمه كبيرة[٨]، ومن الأحداث الثابتة بنص القرآن التي حصلت في حياة سيدنا موسى عليه

---

[١] سورة المائدة ، الآية ٢٥.

[٢] سورة الأعراف ، جزء من الآية ١٤٣.

[٣] سورة القصص ، جزء من الآية ٢٤.

[٤] سورة يونس ، الآيات ٨٤ –٨٦.

[٥] ينظر: السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروت أباظة ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ، (د.ت)، ص٦٨.

[٦] ينظر: الفن القصصي في القرآن الكريم ،د.محمد أحمد خلف الله ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٧م، ص ٣٠٣- ٣٠٤.

[٧] ينظر: جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢١-٢٢.

[٨] ينظر : المصدر نفسه , ص٤٣ .

السلام ماجاء في قوله تعالى{ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}[1]، فقد ذكر الزمن – وهو الليل – لتتضح معالم الحدث وتتحدد وجوهه.

إن لكل قصة في القرآن زمنها الخاص بها ، ويسلك القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصصه مسلك الترتيب الزمني الدقيق في سرد الأحداث ، باستثناء تلك الحلقة القصصية التي صورت لنا قصة بني إسرائيل مع البقرة التي أمرهم الله بذبحها ، ففي هذه الحلقةتسرد الأحداث على غير الترتيب الطبيعي لها في زمنها إذ نرى الحق عز وجل قد بدأ بذكر الشطر الثاني منها ، إذ قال تعالى { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً}[2]إلى قوله{فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ}[3]،مع تأخير الشطر الأول في السرد الذي يقول فيه عز وجل{ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ & فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[4]،وقد علل أحد الباحثين مجيء القصة على هذا النحو بأن العناية قد اتجهت ((إلى ناحية الحوار في أمر البقرة ولونها وصفاتها لتقع العبرة في أن الاختلاف على الوجه الصالح والداعي الرشيد مما يوقع في العنت والحرج ، كما قال صلى الله عليه وسلم " لو ذبحوا بقرة لكفتهم" ، وليكون في ذلك تشويق لمبدأ القصة...)) [5]،على حين يذهب الدكتور عبد الجواد المحص في عدم التزام القرآن الكريم الترتيب الزمني في سرد أحداث قصة بني إسرائيل مع البقرة إلى وجود أسرار أخرى منها : إن القرآن الكريم يجمع بين القصص الذي يلتزم الترتيب الزمني المتدرج في سرد الأحداث ، وبين القصص الذي لايلتزم ذلك، ومصداق ذلك قوله تعالى (مافرطنا في الكتاب من شيء) لكن الضرب الأول أعم وأغلب إذ لم تجئ من الضرب الثاني إلا هذه القصة. على إن مجيئها يثبت أن القرآن الكريم كان الرائد والسباق إلى هذا اللون القصصي الذي يغرم به بعض القاصين في تحريك الزمن في اتجاه غير الاتجاه الطبيعي، فترى الواحد منهم يبدأ الحديث القصصي من نهايته ويعرضه في الشكل الذي انتهى إليه، ثم يعود فيطلع به من جديد من أول خطواته، والغاية في ذلك هي إثارة شوق القارئ له في سيرة مع الأحداث، وفي خطوة معها،خطوة خطوة ومرحلة مرحلة[6].

وحادثة المبارزة بين موسى عليه السلام و السحرة، في قوله تعالى{ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}[7] ،حددت الزمن موعد حادثة الحشر بيوم الزينة ،وقد اختير وقت الضحى من هذا اليوم. ويوم الزينة يوم عظيم عند المصريين ((يتخذونه موعدا يتفرغون إليه من كل شغل و يقدمون على زهائه من كل صوب ، و لقد

---

[1] سورة الدخان ، الآية ٢٣.

[2] سورة البقرة ، جزء من الآية ٦٧.

[3] سورة البقرة ، الآيتان ٧٢– ٧٣.

[4] سورة البقرة ، جزء من الآية ٦٧.

[5] بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه ، مطابع الجبل – لبنان ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١، ١٩٧٢م ، ص٦١.

[6] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ، ص٢٦٩.

[7] سورة طه، الآية ٥٩.

وعدهم موسى ذلك اليوم ليكون ظهور الحق وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد)) [1].وبذلك يضمن شيوع الحدث حتى تتسع دائرة الدعوة ويكثر المتابعون، لاسيما أن هذا اليوم يمثل– عندهم –يوم وفاء النيل[2] ، الذي كان يعد أعظم أعيادهم، و الذي يحضره عدد كبير من الناس.كما أن السياق قد اختار أهم وقت فيه وهو وقت الضحى لما له من دلالات الوضوح وانكشاف الحقيقة أمام الجميع" لأن أمر الله ليس فيه خفاء و لا تزوير، بل هو حقيقة ساطعة سطوع شمس الضحى" [3].

ويبدو على هذا : إن الزمن في القصص القرآنية له قيمة كبرى لا من حيث التاريخ الزمني للقصة، لان القرآن الكريم لا يحفل بذلك، لأنه لا يضيف شيئا جديدا إلى المقصود من القصة، ولكن من حيث الوضع الخاص للزمن ذلك الوضع الذي يؤثر في الحدث أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه، فيلتفت إليه القرآن ويذكره صراحة في قصصه، حتى لا تفتقد القصة ذلك اللون الخاص من الزمن إذا هي لم ترد في صحبته ولم تتلبس به، وقد استخدم الأسلوب الغيبي في سائر الأنباء التي قصها وكان الزمن الماضي البعيد الموغل في القدم نصرا أصيلا بارزا من عناصر الإعجاز الغيبي فيه[4].

خامسا: عنصر المكان

المكان ((أحد أشكال الوجود الذي يفترض وجود الزمان الذي لا يكتمل معناه، ولا يتحقق فعله، إلا من خلال ظهور آثاره في الإنسان والطبيعة، ولكي يظهر الزمان آثاره لا يمكن أن يجري في الفراغ السديمي، فلا بد له من مكان يجري فيه، ولهذا يعد المكان العنصر الهام الحيوي للزمان)) [5]. ويتوحد المكان والزمان في تشكيل إحداثيات الحدث؛ ونظرًا لذلك فان المكان يرتبط بخطية الأحداث السردية، فهو يلازم نماء الحدث القصصي، لذا يمكننا القول: ان التنظيم الدرامي للحدث هو إحدى المهام الرئيسية للمكان.

وأهمية المكان في القصة تتعدى كونه أحد عناصرها الفنية،أو أنه المسرح الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات،لأنه ((يلعب دورًا مركزيًا داخل منظومة الحكي)) [6]،ليتحول في بعض الأعمال المتميزةإلى فضاء يحتوي كل العناصر القصصية،فهو بؤرة مركزية مشعة تفيض بالدلالات التي تغذي القصةوتساعد في تطوير بنائها.

والمكان ليس عنصرًا زائدًا في القصة، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معان عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كّله[7]؛ وحينما ننظر إلى القصص القرآنية من الزاوية المكانية فيه نجد أنَّ القرآن

---

[1]البنية السردية في القصص القرآني، محمد طول ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د. ط) ، ١٩٩١م , ص ٣٦-٣٧.

[2]ينظر :قصص الأنبياء،عبد الوهاب النجار ، دار الفكر،بيروت–لبنان،(د،ت) ص ١٨٨.

[3] البنية السردية في القصص القرآني، ص٣٧.

[4]ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ، ص٢٧٠. البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله ،د.مرشد أحمد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١،٢٠٠٥ م ، ص ١٢٧

[5] البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله ،ص ١٢٧.

[6] المصدر نفسه،ص١٢٧.

[7] ينظر: بنية الشكل الروائي ،حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،١٩٩٠م ، ص٣٣.

الكريم ينظر إلى المكان على النحو الذي ينظر به الزمان، فهو لا يعني بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقم شواهد العظة والعبرة منه، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصة، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظمة تفتقدهما الحادثة إذا هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به[١]. وفي قصة سيدنا موسى (عليه السلام) تسمع الحق سبحانه يقول { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٢]،ويقول في موضع آخر{ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}[٣]،فنجد في لآية الثانية تحديدا للارض بصفة معينة دالة على الطهر والتطهير، بينما ،لفظة (الأرض)في الآية الأولى غير محددة بقيد فكأنه يقول سيحوا في الأرض فليس لكم وطن .

وقد دارت أغلب أحداث القصة في مصر التي ورد اسمها ثلاث مرات من ذلك قوله تعالى{ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ }[٤].ومما لاشك فيه أن ذكر هذا هذا البلد باسمه صراحة غير مرة كان أمرا ضروريا لكونه كان مسرحا لأغلب أحداث القصة من جهة وليبين مدى تكريم القرآن الكريم لها ففيها ولد موسى ونشأ ، وبها أحتمى عيسى وأمه ، ومن قبل جاءها الخليل عليه السلام من أقصى الشرق، فضلا يوسف وأخوته ولذلك ذكرت في القصة وباسمها الصريح[٥]. ومن الأمكنة التي لها كيان خاص و و ورد ذكرها في القصة قوله تعالى{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[٦]،وتذكر السورة المكان نفسه بصورة تعبيريةأخرى فتقول{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ}[٧]، ثم تذكره مرة ثالثة بتعبير آخر فتقول{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[٨]، وفي سورة مريم يقول الحق سبحانه {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا &وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا}[٩]، وفي سورة طه يقول{ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}[١٠] وكلها تشير إلى مكان واحد هو ذلك المكان الذي قضى الله فيه إلى موسى الأمر ، وكلفه بالذهاب إلى فرعون الذي طغى.ومما تجدر

---

[١] ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص٩٥-٩٦.

[٢] سورة الاسراء، الآية ١٠٤.

[٣] سورة المائدة، جزء من الآية ٢١.

[٤] سورة الزخرف،الآية ٥١. وينظر ايضا سورة يونس ،الآية ٨٧،(و) سورة البقرة ، الآية ٦١.

[٥] ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم ، ص ٢٨٢- ٢٨٣.

[٦] سورة القصص،الآية٣٠.

[٧] سورة القصص،الآية٤٤.

[٨] سورة القصص،الآية ٤٦.

[٩] سورة مريم،الآيتان ٥١-٥٢.

[١٠] سورة طه،الآية ١٢.

الإشارة إليه الأحتراس الكبير في الخطاب القرآني ،إذ لا نجد ذكرا للفظة (الأيمن) مذكورة في قوله {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ...} في خطاب الله عز وجل للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرت في الآيات الآخر ((ووجه الفرق بين هذا وذاك أن (الأيمن) إما مشتق من اليمن (بضم الياء) وهو البركة ، أو مشارك له في المادة اللغوية ، فلما قصه عن موسى في سياق الأثبات أتى بلفظه تشريفا لموسى ، فقال {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} وقال مرة:{ نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ}، ولما خاطب الحبيب المصطفى عليه السلام في سياق النفي ، ونفى عنه أن يكون بذلك المكان الذي قضى لموسى فيه الأمر ، عدل إلى لفظة (الغربي) في موضع ، وإلى لفظ الطور في آخر ، ولم يأت في هذا ولا ذاك بلفظ (الأيمن) تأدبا مع الحبيب — في الخطاب– ان ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن ، أو يسلب عنه لفظا مشتقا من اليمن ، أو مشاركا في المادة ، فرفق به في الخطاب ، وكرمه تكريما وهكذا تجد الكتاب الخالد في التعبير عن ذلك المكان ذي الوضع الخاص قد نوع في صور التعبير تنويعا يشهد بإعجازه ودقته البالغة)) [1].

ونجد أن المكان هنا ليس مجرد مكان بلا حدود ولا قيود، وإنما هو مكان محدد، غير أن تحديده لم يكن باسمه وإنما بالصفة التي نراها في الآية الكريمة إذ يقول تعالى{ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى}[2]، فتحدد في هذا المشهد عنصرا مكانيا يتمثل قي قوله(مكانا سوى)، أي مستوى القرب منا ومنكم ، ومستويا في الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع.

عليه يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي، فالمكان يكون منظمًا بالدقة نفسها التي نظمت فيها العناصر الأخرى في القصة لذلك فهو يؤثر في بعضها، ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد مبدعها[3] ، وهكذا يتعدى المكان دوره الظاهري بوصفه مكانًا لوقوع الأحداث وخلفية تتحرك أمامها الشخصيات إلى فضاء رحب يشع بالدلالات التي تؤّثر في بناء القصة.

وأخير نختتم بحثنا بالقول : إن الله عز وجل قص فى القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم بأساليب متنوعة يمتاز بها من سائر الأساليب ويتحقق بها إعجازه ، وللقصص في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، كما أنه له — كما للقرآن الكريم كله — من الجدة التي لا تبلى، والروعة التي لا تزول ، والجمال الفني في قصص القرآن لا يعتمد على الخلق والابتكار والخيال ولكن على صدق الرواية وإبداع العرض وجمال الأداء.**ولقد خلصت من دراستي** إلى أن القصص القرآني خال من التخييل والتلفيق والاختراع ، وان القرآن الكريم قد بلغ قمة الإعجاز في سرد القصة وتصويرها من دون أن يكون للخيال أي دور فيه، كما يتبين لنا أسبقية القرآن الكريم إلى جميع ما يشترطه النقاد المحدثون من عناصر تتمثل

---

[1] أدب القصة في القرآن الكريم ، ص ٢٨٥– ٢٨٦.

[2] سورة طه،جزء من الآية ٥٨.

[3] ينظر: بنية الشكل الروائي ، ص٣٢.

في: الأحداث وتعدد ألوانها وعدم اعتماده في عرضها على عنصر الخيال القصصي الذي يلجأ إليه كتاب القصة البشرية مع سرد الأحداث في نسيج مترابط ، والشخصيات التي جاءت ممتزجة بالحدث وبتوزيع محكم متوازن بين العنصرين حرصا على الوحدة القصصية في كل صورها وأوضاعها، والحوار الواقعي الصادق الذي يمتاز بالوجازة مع ما فيها من العبرة والدرس لكل الأجيال مصدرا بالألفاظ المشتقة من القول ، والزمان المطلق من كل قيد إلا الماضي ، والمكان الذي يؤثر في سير الحدث أو يشارك في إبراز ملامحه ؛ كل تلك العناصر التي ينبغي توافرها لتبنى عليها القصة الناجحة، ولعل من أهم ما وجدناه في هذه القصة التي تشتت حلقاتها أننا إذا انتزعنا هذه المشاهد من سورها وأعدنا نظمها بترتيب يحكمه منطق ترتيب الأحداث ، المختلف عن ترتيب المصحف بدت مترابطة يستدعي بعضها بعضا ، وكأنها وردت ضمن سورة واحدة ، وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وأخيرا فقد تبين لنا عن طريق دراسة قصة سيدناموسى (عليه السلام) أن للقصص القرآني وسير الأنبياء والمصلحين أثر كبير في رفع معنويات الدعاة إلى الله تعالى وإعطاءهم دفعة إلى الأمام تثبت أقدامهم على طريق الخير والرشاد، فضلا عن أن القصص والسير وسيلة من وسائل الدعوة والتأثير.مع وجوب الأنتباه إلى أن تكرار القصة في سور متعددة وبأساليب مختلفة إنما يهدف إلى تمكين النفس وتثبيت القلب على المكابدة والمجاهدة و الصبر حتى تقوي داعية الإصلاح عند المصلح، فلا يجد اليأس سبيلا إليه ، وللدلالة على نصرة الله لأنبيائه واتباعهم .

مصادر ا لبحث:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن،جلال الدين السيوطي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥م.

٣- أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، د. عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١)، ٢٠٠٠م.

٤- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، دار المعارف،القاهرة،١٩٧١م.

٥- بحوث في قصص القرآن، السيد عبد الحافظ عبد ربه ، مطابع الجبل – لبنان ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١، ١٩٧٢م.

٦- البداية والنهاية، للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)،المطبعة السعادة والمطبعة السلفية،ط١٣٥١،١هـ- ١٩٣٢م.

٧- بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت٣٨٨هـ)، دارالتأليف، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٣٢م.

٨- البيان القرآني د. محمد رجب بيومي ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، ط دار النصر للطباعة ، ١٣٩١هـ-١٩٧٠م.

٩- البنية السردية في القصص القرآني، محمد طول ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د. ط) ، ١٩٩١م.

١٠- بنية الشكل الروائي ،حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،١٩٩٠م.

١١- البنية القصصية في رسالة الغفران: حسين الواد، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٥م.
١٢- البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله، د.مرشد، أحمد المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١،٢٠٠٥ م.
١٣- تاريخ الأنبياء ,السيد محمد حسين الطبطبائي ، إعدادالشيخ قاسم الهاشمي، مؤسسة الأعملي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م.
١٤- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.
١٥- التفسير البياني لسورة طه ،د. عبد الفتاح السيد محمد الدماصي،مطبعة السعادة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٦- التكرار في القصص القرآني دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام ، د. أمين محمد عطية باشا،(د.ت).
١٧- جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني،منشورات منشأة المعارف،الإسكندرية،مطبعة أطلس،القاهرة،١٩٨٣م.
١٨- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجا، آمنة عشاب، (رسالة ماجستير)،كلية الادآب واللغات – جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف ، الجمهورية الديمقراطية الجزائرية ، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
١٩- الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني؛ عبدالمرضي زكريا، ط١، بيروت: مكتبة زهراء الشرق، ١٩٩٧م.
٢٠- خصائص القصة الإسلامية، للدكتور مأمون فريز جرار، ط١٠ - جدة: دار المنارة، ١٤٠٨هـ.
٢١- دلائل الأعجاز،عبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٨٢هـ)، وتصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
٢٢- دراسات فنية في قصص القرآن، محمود بستاني، بيروت – دار البلاغة ،ط١ ، ١٩٨٩م.
٢٣- دراسة التكرار في قصة موسى وفرعون في القرآن الكريم ، برستو قياسوند (و) علي باقر طاهرى نيا، مجلة التراث العربي ، السنة الثانية ، العدد ٥ .
٢٤- السرد القصصي في القرآن الكريم ، ثروت أباظة ، مطبعة نهضة مصر بالفجالة ، (د.ت).
٢٥- سيكولوجية القصة في القرآن ، د. التهامي نقرة ،طبع الشركة التونسية لفنون الرسم – تونس، ١٩٧٤م.
٢٦- الشكل القصصي في القرآن الكريم،نبهان حسون السعدون، دارسة جمالية رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل،١٩٩٩م.
٢٧- الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف - عليه السلام – نموذجا دراسة جمالية ،بلحسيني نصرة،كلية الآداب والعلوم الإنسانيةوالإجتماعية/جامعةأبي بكر بلقايد –تلمسان،الجمهورية الجزائرية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٨- الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، نذير حمدان،دار المثابرة، جدة – السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٩- الفن القصصي في القرآن الكريم، د. محمد أحمد خلف الله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٧٥م.
٣٠- قصص الأنبياء،عبد الوهاب النجار ، دار الفكر،بيروت-لبنان،(د،ت).
٣١- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم بالخطيب،مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٨م.
٣٢- الكامل في التاريخ،ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ)، المجلدالأول، دار ومكتبة الهلال – لبنان، بيروت،طبعة ٢٠٠٨م.
٣٣- الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تفسيرالزمخشري، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٣٩٣هـ)،دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت.
٣٤- لسان العرب، جمال الدين محمد بن منظور(ت٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
٣٥- المتشابه اللفظي في الخطاب القصصي القرآني قصة موسى ع نموذجاً ، منى فاضل اسماعيل الحلاوجي ، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة الموصل ، ٢٠٠٨م.
٣٦- مستويات السرد الاعجازي في القصة القرآنية ، شارف مزاري، من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠١م .
٣٧- مشاهد من قصة موسى – عليه السلام- في القرآن الكريم -دراسة أسلوبية- د. نبهان حسون السعدون (و) د. يوسف سليمان الطحان ، مجلة كلية العلوم الأسلامية ، المجلد ٦، العدد ١٢ ،١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٣٨- مع الانبياء في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة ،دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط١٣، ١٤٠٤هـ.
٣٩- من اساليب التشويق في قصص القرن الكريم دراسة تحليلية، د. علي بن محمد الحمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (د.ت).